مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاخبار

التاريخ : ١٩٧٨/١/١١

# لماذا التفاؤل ؟

## الى اين الطريق ؟

**يرى المراقبون المحايدون ان الموقف التفاوضى الذى اتخذه بيجين أثناء محادثات الاسماعيلية ، والموقف الانتهازى الذى يتخذه حاليا حزب العمل الاسرائيلى المعارض ، لا يقصد بها الا المساومة وكسب الوقت ، ولكن حكومة اسرائيل لن يمكنها بحال ان تقاوم التيار الجارف للسلام فى الراى العام العالمى وداخل اسرائيل نفسها ، خاصة وان الشروط التى يطلبها السادات فيما يتعلق بالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ وحق تقرير المصير لشعب فلسطين سبق ان وافقت عليها الامم المتحدة، كما اعلنت حكومات الامم المختلفة وضمنها حكومة الولايات المتحدة الامريكية موافقتها عليها . فقد اعلن الرئيس الامريكى فى اكثر من مناسبة ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ الى حدود آمنة معترف بها ، كما أعلن عن ضرورة ايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية والاعتراف بحق الفلسطينيين فى ان يكون لهم وطن ، وهذا ما تعارضه اسرائيل بدعوى ان ميثاق منظمة التحرير ينص على الكفاح طويل المدى لتصفية الكيان الصهيونى ولذلك دعا الرئيس الامريكى منظمة التحرير الفلسطينية الى الاعتراف بالقرار ٢٤٢ الذى ينص على حق كل شعوب المنطقة فى ان تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، وبالتالى تسقط حجة حكومة اسرائيل فى عدم الاعتراف بمنظمة التحرير أو التفاوض معها .**

ولكن ياسر عرفات تحت ضغط جبهة الرفض رفض هذا العرض ،وتحت ضغط موسكو وجبهة الرفض لم يستجب لدعوة السادات لحضور مؤتمر القاهرة وضيع بذلك فرصة العمر فى ان يكسب للقضية الفلسطينية اعترافا واقعيا من جانب اسرائيل التى قبلت أن تجلس الى نفس مائدة المفاوضات مع ممثلى منظمة التحرير الفلسطينية .

من اجل ذلك اعلن الزعماء الفلسطينيون فى الضفة الغربية وفى قطاع غزة انهم لن يقبلوا استمرار الوصاية عليهم ، ولن يسمحوا لمنظمة التحرير أو المنظمات الاخرى العميلة أن تتحدث باسمهم ،لان الارتباط العضوى بين الثورة الفلسطينية فى الارض المحتلة وبين المنظمات قد انقطع منذ زمن طويل (*)

ولقد اصبح واضحا الان أن شعب فلسطين قد عقد العزم على أن يمسك زمامه بيده ، وأن يتكلم بلسان زعمائه فى الضفة الغربية وغزة ، وأن يعبر عن وجهة نظره بكل أمانة وصدق كما عبر عنها عند زيارته الاخيرة للقاهرة بعيدا عن المزايدات والمهاترات .

وهناك اكثر من احتمال أن يتفق هؤلاء الزعماء مع الملك حسين على التنسيق والتكامل فيما بينهما فى خطوات العمل المقبلة التى ينظمها السادات لاستعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين واقامة سلام عادل مستقر فى المنطقة .

وتأسيسا على ذلك أقول بأننى متفائل بنتائج مبادرة السادات ، واثق تماما بأن الغالبية العظمى من المواطنين فى البلاد العربية وفى مختلف بلاد العالم تشاركنى هذا الرأى ، وسأثبت فيما يلى ان هذا التفاؤل ليس شعورا عاطفيا ولكنه تفكير واعى له مايثبته ويؤكده .

**لذلك فاننى سأعرض فيما يلى ولأول مرة أمام الرأى العام العربى وثيقة هامة، هى الطلب الذى قدمته اسرائيل فى ٤ اكتوبر من عام ١٩٧٥ الى سكرتارية السوق الاوربية المشتركة تطلب انضمامها للسوق كعضو منتسب .**

**ويظهر من هذه الوثيقة بوضوح أن اسرائيل التى تعتمد منذ قيامها على المعونات الهائلة التى تأتيها من الخارج وخاصة من الولايات المتحدة الامريكية ، فى وضع بالغ الخطورة والحرج .**

قالت حكومة اسرائيل فى مذكرتها لسكرتارية السوق انها كانت من اوائل الحكومات التى اتصلت بالسوق للوصول الى اتفاق ينظم العلاقات الاقتصادية فيما بينهما . ولكن الاتفاقية التجارية التى عقدها الطرفان فى ٤ يونيو من عام ١٩٦٤ لم تحقق النتائج التى كانت ترجوها اسرائيل

بل انها بصورتها الراهنة تمثل عقبة فى سبيل تنمية العلاقات الاقتصادية بين الجانبين ، ولذلك فان حكومة اسرائيل تقترح عقد اتفاقية مشاركة Assoccatcon Agreement مع السوق ليحل محل الاتفاقية المذكورة .

والنقط الاساسية التى ترجو اسرائيل أن يتضمنها الاتفاق الجديد هى مايلى :

اولا : الغاء الرسوم الجمركية الغاء كاملا بين اسرائيل والسوق .

ثانيا : الغاء الحصص التى تقررها السوق على صادرات اسرائيل اليها .

ثالثا : التنسيق بين السياسات الاقتصادية بين منطقة السوق واسرائيل وخاصة فى مجالات الصناعة والزراعة .

وجاء فى المذكرة التفسيرية المرفقة بالطلب ان اسرائيل تربطها باوربا روابا جغرافية وتاريخية واقتصادية وروحية منذ زمان طويل ، وأن التحول الكبير الذى يحدث الان فى الهيكل الاقتصادى الاوروبى يستلزم اعادة تقييم وتنظيم العلاقات بين اسرائيل والمجموعة الاقتصادية الاوروبية بطريقة تضمن مصالح الطرفين

واستعرضت المذكرة بعد ذلك الجهود التى بذلتها اسرائيل لتوطين المهاجرين وتوفير الحياة الكريمة لهم ، وانشاء المؤسسات الدستورية والسياسية والاجتماعية والجيش اللازم للدفاع عنها .

ثم تطرقت المذكرة لذكر الجهود التى بذلت فى مختلف القطاعات .. ففى قطاع الزراعة قالت اسرائيل بأنها نفذت مشروعات رى كبيرة وطبقت النظم الحديثة فى الزراعة حيث امكنها توفير نسبة كبيرة من احتياجاتها من المنتجات والحاصلات الغذائية ، ولكن اسرائيل ظلت برغم ذلك تستورد اجمالى احتياجاتها من الارز ، وثلثى استهلاكها من الحبوب واكثر من نصف احتياجاتها من اللحوم ، وبالتالى فان رقم الواردات فى هذا القطاع يزيد كثيرا على اجمالى الصادرات .

ونظرا لضيق الاراضى الزراعية الصالحة للزراعة وعدم توافر المياه اللازمة للرى فان العجز فى الميزان التجارى لقطاع الزراعة سيتزايد باطراد اعتبارا من عام ١٩٧٠

وهناك ايضا نقطة ضعف اساسية فى هذا القطاع وهى أن غالبية المنتجات الزراعية الاسرائيلية من الانواع السريعة التلف perishable التى يصعب تصديرها للاسواق البعيدة كالسوق الامريكية ولذلك فان اوروبا ستظل دائما هى السوق الرئيسية للصادرات الزراعية الاسرائيلية .

وتطرقت المذكرة للحديث عن الصناعة فقالت بأن اسرائيل حرصت منذ البداية على أن تصبح دولة صناعية . وأنها وجهت لذلك النسبة الغالبة من المعونات المالية الخارجية لبناء صناعات حديثة حتى اصبحت هذه الصناعات تستوعب حوالى ٢٥٪ من اجمالى القوة العاملة فى اسرائيل . ولقد حاولت اسرائيل أن تقفز لتصل بمنتجاتها الصناعية الى اسواق افريقيا واسيا ولكنها صادفت فى هذه الاسواق منافسة غير متكافئة من منتجات الدول الصناعية الكبرى ، الامر الذى اضطرها الى اتباع سياسة دعم الصادرات الصناعية وبالتالى اصبحت الصناعة عبئا على الخزينة العامة لا دعما لها .

وتطوير الصناعة يحتاج الى استثمارات هائلة تقدرها اسرائيل بمليار ونصف مليار دولار خلال العشر سنوات التالية [ ٦٥ ــ ١٩٧٥ ] ، ولكن الميزانيات الكبيرة التى تضطر اسرائيل لان تخصصها للانفاق العسكرى لا تسمح لها بتوفير الاعتمادات اللازمة للصناعة .

وتقترح اسرائيل لمواجهة هذا الموقف أن توافق السوق الاوروبية على أن تصبح منطقة السوق الاوروبية والسوق الداخلية

فى اسرائيل سوقا موحدة للصناعات الاوروبية والاسرائيلية بدون أى تفرقة أو تمييز وهذا ما يوفر للصناعة الاسرائيلية سوقا [ داخلية ] كبيرة تسمح لها بالتطور والنمو باطراد .

وأيضا فان اسرائيل ترغب فى أن تصبح حلقة فى سلسلة الصناعة الاوروبية بمعنى أن تقوم الصناعات الاوروبية بتصنيع أجزاء فى اسرائيل ثم تقوم بتجميعها فى أوروبا أو أن ترسل الصناعة الاوروبية الاجزاء الى اسرائيل ليتم تجميعها هناك ثم تتولى الدول الاوروبية مسئولية التسويق كاملة .

وبالنسبة للموارد غير المنظورة فان استمرار حالة الحرب فى منطقة الشرق الاوسط تجعل نمو الايرادات من السياحة والتجارة العابرة محدودا جدا ، وعلى كل حال فان اسرائيل مضطرة فى الظروف الراهنة أن تعتمد على السياحة الخارجية الاوروبية لدعم قطاع السياحة فيها ، وكان طبيعيا أن تكون غالبية السياحة من الدول المرتبة المجاورة ولكن استمرار حالة الحرب حرمت اسرائيل من هذا المورد الهام

أما العجز الدائم فى الميزان التجارى فى ميزان المدفوعات فلا يمكن علاجه الا عن طريق زيادة الصادرات الاسرائيلية لمنطقة السوق بمعدلات كبيرة ، وخلق الظروف المواتية لزيادة التحويلات الرأسمالية والاستثماريه من دول السوق لاسرائيل ، وبغير ذلك فسيبقى مركز الليرة الاسرائيلية مهددا باستمرار وسيزداد رقم الدين الخارجى مما يزيد من اعباء الخزينة ويتخطى امكانيتها الفعلية .

وختمت اسرائيل مذكرتها بقولها بأنها تأمل أن يرتبط مصيرها بدول المجموعة الاقتصادية الاوروبية وأنها تثق بأنها ستكون شريكا نافعا وموالیا وكفء .

وقد قمت من جانبى يومئذ بتقديم مذكرة مضادة ذكرت فيها انه لاول مرة فى تاريخ السوق تعرض دولة خارجية مشاكلها الاقتصادية والسياسية على لجنة السوق وتطلب منها أن تتولى بنفسها ايجاد الحلول المناسبة لهذه المشاكل على حساب دول السوق نفسها ، لتمول وجودا توسعيا ، بدلا من أن تنفذ قرارات الامم المتحدة ، لتقوم اقتصادها على اسس ذاتية ، سليمة ..

واسرائيل التى تريد أن تتوسع بالحروب

كما يتضح من مذكرتها لا تتوفر لديها مقومات الدولة وانها تعانى من عجز دائم متزايد فى ميزانها التجارى وميزان المدفوعات بالرغم من المساعدات والمعونات الخارجية الهائلة التى تحصل عليها . ولذلك فهى تلجأ الى المجموعة الاقتصادية الاوربية وتحملها مسئولية لا حماية كيانها فقط وانما توسعها وهو كيان غير محدد ومازال محل نزاع لم تصل الامم المتحدة الى حل نهائى بخصوصه .

ثم أضفت بأن قبول طلب اسرائيل سيكون سابقة فريدة فى نوعها تصبح بمقتضاها المجموعة الاوربية ملزمة بحل مشاكل اى دولة خارجية تأتى مستقبلا عارضة مشاكلها الاقتصادية والسياسية عليها ، كما تصبح المجموعة ملزمة بحماية ومساندة أية دولة يرتبط كيانها الاقتصادى والسياسى بخلاف أو نزاع سياسى قائم.

ولما كان قيام اسرائيل قد جاء نتيجة لتواطؤ معروف بين الاستعمار القديم والصهيونية العالمية على حساب الدول العربية جميعا ، وهو الامر الذى انعكست آثاره على علاقات هذه الدول بالقوى الاستعمارية التى ساهمت فى هذا العدوان ، ولما كانت علاقات دول السوق بالدول العربية تقوم على أساس من الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة فاننا لذلك نعتقد بأن دول السوق الاوربية لايمكن أن تقبل مشاركة الدول الاستعمارية والامبريالية فى مسئولية العدوان الذى وقع على فلسطين ، أو أن تحل محل

الدول الامبريالية ، التى تربطها بالصهيونية العالمية مصالح غير مشروعة وخاصة فى منطقة الشرق العربى ، فى حماية كيان اسرائيل الحالى وضمان بقائه واستمراره عن طريق ربط الاقتصاد الاسرائيلى باقتصاد السوق بروابط آثارها السياسية واضحة . ولما كانت اسرائيل قد اعترفت صراحة لا ضمنا بأن كيانها الاقتصادى سينهار حتما اذا لم تتمكن من الانضمام للسوق الاوربية كعضو مشترك ، فان هدف اسرائيل اذن هو أن تحصل الى جانب الدعم الاقتصادى على ضمان سياسى لكيان تعلم جيدا أنه محل نزاع وان استمرار بقائه أمر يحتمل الشك ، وبالتالى تصبح دول السوق الاوربية طرفا مباشرا فى مشكلة سياسية معقدة ينبغى أن تتخذ حيالها موقف الحياد العادل .

وبعد أن استعرضت هيكل الاقتصاد الاسرائيلى واثبت بأنه يرتكز أساسا على حقوق ومصادر عربية ترفض اسرائيل تعيين قيم عليها من قبل الامم المتحدة لادارتها والتحفظ عليها لحساب أصحابها الشرعيين ، أضفت بأن اى اتفاق مشاركة بين اسرائيل ودول السوق من مقتضاه أن يؤدى الى حدوث تمييز فى المعاملات التجارية والعلاقات الاقتصادية ضد مصالح الدول العربية ، وبذلك تكون السوق قد خرجت على الحياد الطبيعى الذى يفرضه عليها ميثاقها فيما يتعلق بتجارتها مع الدول الخارجية .

وهتمت مذكرتى بالاشارة لمقررات مؤتمر القمة العربى الاول الذى نص على أن تعيد الدول العربية النظر فى علاقتها مع الدول الخارجية على أساس مواقفها من قضية فلسطين . ولما كانت الدول العربية حريصة على علاقاتها بدول السوق فانها تأمل لذلك الا تتخذ هذه الدول قرارا بالنسبة لطلب اسرائيل يتغاضى عن الاعتبارات السابقة ويتضمن تمييزا واضحا فى العلاقات الاقتصادية والتجارية والسياسية لمصلحة اسرائيل على حساب الدول العربية .

بناء على مذكرتى هذه رفض مجلس وزراء السوق برئاسة مسيو كوف دى مورفيل طلب اسرائيل ، واشر على الطلب بأن مجلس الوزراء قد اخذ علما بطلبات اسرائيل وانه سيعمل على تنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية معها على أساس ماورد فى الاتفاقية التجارية السارية بين الطرفين .

وكان لهذا الرفض وقع شديد جدا فى اسرائيل وقال لى مسيو سبك وزير خارجية بلجيكا وقتئذ انه يثق من خلال دراسته لسيكولوجية اسرائيل أن رد الفعل لديها سيكون القيام بعدوان عسكرى جديد على جيرانها العرب ، وهذا ما وقع فعلا فى عام ١٩٦٧

نخلص مما سبق الى أن اسرائيل برغم المساعدات والمعونات الخارجية الطائلة لا تتوفر لديها مقومات الدولة وامكانيات البقاء والاستمرار ، وذلك ما دفعها الى طلب الانضمام للمجموعة الاقتصادية الاوروبية لكى تقوم هذه المجموعة بعلاج مشاكل اسرائيل الاقتصادية والمالية ودعم كيانها الحالى ، ولكن مصر نجحت فى اقناع السوق الاوروبية برفض الطلب ووجدت اسرائيل نفسها فى مأزق حاد خاصة وان المساعدات الخارجية بدأت تتناقص باستمرار ، حتى الجاليات الاسرائيلية فى دول العالم المختلفة اعلنت فى اكثر من مناسبة بأن تبرعات الاغنياء فى هذه الجاليات يجب أن يصرف على الفقراء فيها لا على شعب اسرائيل .

**وعلى ذلك فان اسرائيل ليس امامها الا احد طريقين . اما الاستمرار فى الاعتماد على المساعدات والمعونات الخارجية وهو امر لا يمكن ضمان بقائه واستمراره ، واما السلام مع جيرانها العرب وهو سلام لايمكن أن يقوم الا بالاعتراف بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين .**

وكل قادة اسرائيل يعلمون هذه الحقيقة كما يعلمها ايضا شعب اسرائيل ، ولعل ذلك يفسر لنا الاستقبال الهائل الذى استقبلت به اسرائيل ـ حكومة وشعبا ـ الرئيس السادات عند زيارته للقدس .

وعلى ذلك فبرغم علمنا بطبيعة قادة اسرائيل فاننا نثق بانهم لن يهدروا فرصة السلام التى اتاحتها لهم المبادرةالشجاعة للرئيس السادات ، لان اهدار هذه الفرصة يهدد مستقبل اسرائيل وشعبها باوخم العواقب .

والسلام له مزاياه الكبرى بالنسبة للعرب ايضا ، فدول المواجهة تحتاج لفترة طويلة من الهدوء والاستقرار لاعادة بناء بلادها واقتصادها وتعويض شعوبها عن سنوات الحرمان الطويلة . والدول العربية المنتجة للبترول تعلم بان ثرواتها قصيرة الاجل وانه يتحتم عليها استغلال ثرواتها الحالية لبناء مصدر تبادلى للدخل تعيش عليه بعد نضوب البترول حتى لا تعود صحارى قفراء لازرع فيها ولا ماء ويعود اهلها لحياة البداوة ورعى الغنم .

تاسيسا على هذه الحقائق التى لا تقبل الجدل اقول انامتفائل ويشاركنى فى هذا التفاؤل كل مواطن ينظر الى الامور نظرة موضوعية بعيدة عن الغرض وعن الاهداف الانانية او خدمة المصالح الاجنبية .

اننى اثق بان مبادرة السادات ستعيد الامن والسلام لهذه المنطقة الاستراتيجية الهامة ، وستعيد لشعب فلسطين حقوقه المشروعة ووطنه السليب ، وستوفر للشعوب العربية الفرصة الكاملة للبناء والتعمير ، ومواكبة ركب الحضارةالحديثة بحيث تصبح الامة العربية ، كما يتوقع لها المراقبون ، القوة السادسة فى المجال العالمى .

وسيدخل السادات التاريخ من اوسع ابوابه ..

بطل فلسطين ورجل السلام ، ورجل عام ١٩٧٧ ، وهذا العام وكل عام . □

**أمين شاكر**

وزير السياحة السابق